محمد بن الحسن بن صالحان[١]

أبو منصور، وزَرَ لمشرِّف الدولة أبي الفوارس بن عضد الدولة، ثمَّ لأخيه بهاء الدولة، كان فاضلاً، مُحِبًّا لأهل العلم والخير، ويحضر مجلِسَه العلماءُ والشعراءُ، ويَرُبُّهم[٢] ويَصِلُهم، تُوفِّي ببغداد في رمضان عن ستٍّ وسبعين سنة.

مُشَرِّف الدولة[٣]

أبو علي بن بهاء الدولة.

وقد ذكرنا محاربتَه لأخيه سلطان الدولة، وخروجَه إلى واسط، وعودَه إلى بغداد، ولقاءَ القادرِ له، فلمَّا كان في ربيع الأول مرض مرضاً حادًّا، فتوفِّي عن ثلاث وعشرين سنة وثلاثة أشهر وأربعة عشر يوماً، وكانت مدَّةُ إمارته خمس سنين وشهراً وخمسةً وعشرين يوماً.

ولمَّا مات نُهِبتِ الخزائنُ، ووليَ جلالُ الدولة أبو طاهر، وخُطِبَ له على المنابر وهو بالبصرة، فتوقَّف إصعادُه إلى بغداد؛ لقلة المال، فمال الجندُ إلى تولية أبي كاليجار، وكان وليَ عهد أبيه سلطانِ الدولة، وقد استخلَفَه عليهم، وله الأهواز وأَرَّجان وفارس، فامتنع القادر من إجابتهم، فاجتمعوا يوماً ثانياً، فخافَ منهم، فأرسلَ إليهم: افعلوا ما رأيتُم. فخطب له يوم الجمعة سادس عشر شوال، وبلغ جلالَ الدولة، فانحدر من واسط إلى البصرة.

السنة السابعة عشرة وأربع مئة

فيها في سابع المُحرَّم كانت وقعةٌ عظيمةٌ بين الملك أبي كاليجار والملك أبي الفوارس، فانهزم أبو الفوارس، وعاد أبو كاليجار إلى شيراز، وكان العيَّارون قد

---

(١) المنتظم ١٥/ ١٧٣. وتحرف اسم صالحان في (ف) إلى: صولجان.

(٢) في (ف): يبرُهم. ومعنى يَرُبُّهم أي: يتولَّاهم ويتعهَّدهم بالغذاء والتأديب. المعجم الوسيط (ربب).

(٣) تنظر مصادر الترجمة في السير ١٧/ ٤٠٨.

استطالوا على ما بيَّنَّا، فكُوتِبَ مَنْ بواسط من الجند، فقدم الأتراكُ والجندُ إلى بغداد يومَ الجمعة ثامن عشر مُحرَّم، فنزلوا بالخيام بمكان يقال له: الزَّبَد، وراسلوا العيَّارين بالانصراف، فلم يلتفتوا، وخرجوا إلى مضارب الترك وصاحوا وشتموا، وقاتلوهم وعادوا في الليل بالمشاعل والشمع، ففعلوا أقبحَ من ذلك، فلمَّا كان صبيحةُ يوم الخميس العشرين من المُحرَّم لبس الأتراكُ والإسْفْهسلارية آلةَ الحرب، وزحفوا بالبوقات والدبادب، وهجموا على المحالِّ التي حول الكَرْخ، فأحرقوها وأحرقوا الكَرْخ، وقتلوا من العيَّارين خلقاً لا يُحصى، وهرب أهلُ الكَرْخ إلى دار الخليفة، ولمَّا سكنت الفتنة وهرب العيَّارون قرَّر على أهل الكَرْخ مئة ألف دينار، وكان الشريفُ المرتضى قد هرب إلى دار الخليفة، فخلع عليه، وأعاده إلى داره[١].

وفيها منع الظاهرُ صاحبُ مصر مِنْ ذَبْحِ البقر السليمة من العيوب التي تصلح للحرث، وكُتِبَ عن لسانه كتابٌ قُرئ على الناس، فمنه: إنَّ الله تعالى سابغٌ نِعْمتَه، وبالغٌ حِكْمتَه، خلق ضروبَ الأنعام، وعَلِمَ بها منافعَ الأنام، فوجب أن تُحمى البقرُ المخصوصة بعِمارة الأرض المذلَّلة لمصالح الخلق، فإنَّ في ذَبْحِها غايةَ الفساد وإضراراً بالعباد والبلاد، وأباح ذَبْحَ مالا يصلح[٢] للعمل، ولا يحصل به النفع.

وفي رمضان انقضَّ كوكبٌ عظيمُ الضوء، له دويٌّ كدويِّ الرعد.

وفيها لمَّا عاد جلالُ الدولة إلى البصرة قبض على وزيره أبي سعد ابن ماكولا، وعلى أبي علي ابن عمِّه، وجرَتْ أسبابٌ استوجبَتْ إطلاقَ ابنِ عمِّه، واستوزره ولقَّبه يمينَ الدولة وزيرَ الوزراء، وخلعَ عليه، وأبو سعد اسمه عبد الواحد بن أحمد بن جعفر، كان فاضلاً، مات في حبسه في هذه السنة.

وبطل الحجُّ من العراق، ولم يقدم من خراسان أحدٌ [في هذه السنة][٣].

---

(١) ينظر الخبر بنحوه في المنتظم ١٥/ ١٧٥.

(٢) في (خ) وحدها: يحصل.

(٣) هذا الخبر في المنتظم ١٥/ ١٧٦.

وفيها تُوفِّي

أحمد بن محمد[١]

ابن عبد الله بن العباس بن محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، أبو الحسن، القرشي، الأموي، قاضي القضاة، ولي قضاء [البصرة قديماً، ثم وَلِيَ قضاء] [٢] القضاة بعد ابن الأكفاني في ثالث شعبان سنة خمسٍ وأربع مئة، ولم يزل على القضاء إلى حين وفاته، وكان عفيفاً، نزهاً، جليلاً، شريفاً.

قال القاضي أبو العلاء الواسطي: ما رأينا مثلَه جلالةً وصيانةً وشرفاً.

وقال علي بن محمد بن حبيب البصري: كان بيني وبين القاضي أبي الحسن ابن أبي الشوارب بالبصرة أُنسٌ كثير، بحيث إنه كان يَعُدُّني ولداً وأعُدُّه والداً، فما علمتُ له سرًّا قطُّ لو اطُّلع عليه لاستحيى منه، وكان بالبصرة رجلٌ من وجوهها، واسعَ الجاه، كثيرَ المال، يُعرف بأبي نصر بن عبدويه، دخلتُ عليه عائداً في عِلَّة الموت، فقال: في صدري سِرٌّ أُريد إطلاعَكَ عليه؛ لمَّا ولِّيَ القاضي أبو الحسن ابن أبي الشوارب القضاءَ بالبصرة في أيام بهاء الدولة، وكان بيني وبينه من المودة ما شُهْرَتُه تُغني عن ذِكْرِه، مضيتُ إليه وقلتُ له: قد علمتُ أنَّ هذا الأمر الذي تقلَّدْتَه تحتاجُ فيه إلى مؤنةٍ كبيرةٍ وقد أحضرتُكَ مئتي دينار، وإنَّني ـ واللهِ ـ لا أطلبُ منكَ قضاءً ولا شهادةً، ولا بيني وبين أحدٍ خصومةٌ أحتاج إليك عند المرافعة، وإن قدَّمني إليك خصمٌ فباللهِ عليك إلا حكمتَ عليَّ في ذلك كما تحكم على بعض الشهود، فإنْ قبِلتَ هذه الدنانير بسبب المودَّة التي بيننا فأنتَ في حِلٍّ منها في الدنيا والآخرة، وإن كرهتَ قبولَها على ذلك الوجه فهي قرضٌ لي عليك، فقال: واللهِ إني لَمحتاجٌ إليها، ولكن لا يراني اللهُ أنِّي قبِلتُ إعانةً على هذا الأمر، وأنشدُكَ اللهَ [ما] أطلعتَ على هذا السر ما دمتُ في الدنيا أحداً. قال: فو اللهِ ما ذكرتُ هذا لأحد قبل يومي هذا. قال ابن حبيب: ومات ابن عبدويه من يومه.

---

(١) تاريخ بغداد ٥/ ٤٧، والمنتظم ١٥/ ١٧٧، . وتنظر مصادر الترجمة في السير ١٧/ ٣٥٩

(٢) ما بين حاصرتين من (ف). ومصادر الترجمة.

وقال أبو العلاء الواسطي: دعا المتوكِّلُ محمد بن عبد الملك ابنَ أبي الشوارب وأحمد ابن المعدَّل وإبراهيم التَّيمي من البصرة، وعرضَ على كلٍّ واحدٍ منهم قضاءَ القضاة، فاحتجَّ منهم محمد بن عبد الملك بالسِّنِّ العالية، واحتجَّ أحمد ابن المعدَّل بضعف البصر، وامتنع إبراهيم التَّيمي، فقال له المتوكِّل: لم يَبْقَ غيرُك. وجزم عليه، فنزل حالُ إبراهيم التَّيمي، وعلَتْ مرتبةُ الآخرين، فيرى الناسُ أنَّ بركةَ امتناع محمد دخلَتْ على ولده، فولي منهم أربعةٌ وعشرون قاضياً، منهم ثمانيةٌ تولَّوا قضاء القُضاة، آخِرُهم أبو الحسن، وما رأينا مثلَه.

قال المصنف رحمه الله: لو عادَتْ بركةُ جدِّهم عليهم لَما وُلِّي أحدٌ منهم القضاءَ على المسلمين، ولَما ذُبِحَ في الدنيا بغير سِكِّين.

مات أبو الحسن ليلةَ الخميس الثامن عشر من شوَّال.

[وفيها تُوفِّي]

عبد الواحد بن محمد

ابن أحمد بن أبي الحديد، أبو الفضل، الدمشقي، الشاهد، كان فاضلاً، سمع الحديث بدمشق، وبها تُوفِّي، [وذكره الحافظ ابن عساكر[١].

قلت]: وفي يدِ ولده[٢] نعل، يقال: إنه نعْلُ رسول الله ﷺ، وانتقل إلى الملك الأشرف موسى بن أبي بكر بن أيوب رحمه الله، واشترى له داراً بدمشق، وأوقفها وجعل النعل فيها، ونقل إليها كتباً كثيرةً، وأوقف عليها الأوقاف.

علي بن أحمد[٣]

ابن عمر بن حفص أبو الحسن، المقرئ، ويُعرف بابن الحمَّامي، ولد سنة ثمان وعشرين وثلاث مئة، وتفرَّد بأسانيد القراءات وعُلوِّها في وقته، وسمع الحديث،

(١) تاريخ دمشق ٣٧/ ٢٦٨ ـ ٢٦٩.

(٢) في (خ) وحدها: وفي يده ولد.

(٣) تاريخ بغداد ١١/ ٣٢٩، والمنتظم ١٥/ ١٧٩. وينظر السير ١٧/ ٤٠٢.

وكانت وفاتُه في شعبان، ودُفِنَ بمقبرة باب حرب، وكان صدوقاً، ثبتاً، صالحاً، فاضلاً، حسنَ الاعتقاد. قال أبو الفتح ابن أبي الفوارس[١]: لو رحلَ رجلٌ من خراسان ليسمع كلمةً من أبي الحسن ابن الحمَّامي ما كانت رحلتُه ضائعةً]

[وفيها تُوفِّي]

مُحَسِّن بن عبد الله بن محمد[٢]

أبو القاسم، التَّنوخي، المعرِّي، القاضي، الحنفي، [ذكره الحافظ ابن عساكر وقال]: وُلِدَ يومَ الأحد لثمانٍ وعشرين خلَتْ من ربيع الأول سنة تسع وأربعين وثلاث مئة، وقدم دمشق مجتازاً إلى الحجِّ، فأدركهُ أجلُه في الطريق في ذي القعدة، فحُمِلَ إلى مدينة النبي ﷺ، فدُفِنَ بالبقيع، وله مصنَّفات، وكان شاعراً، من شعره: [من الطويل]

وكلُّ أُداريهِ على حَسْبِ حالهِ ... سوى حاسدي فَهْيَ التي لا أنالُها

وكيفَ يُداري المرءُ حاسِدَ نعمةٍ ... إذا كان لا يُرضيهِ إلَّا زوالُها

السنة الثامنة عشرة وأربع مئة

وفيها خُطِبَ ببغداد لجلالِ الدولة على المنابر بالسلطنة، بعد أن مَنَعَ الأتراكُ من ذلك وخطبوا لأبي كاليجار، وسببُه أنَّ الأتراك اجتمعوا على باب الخليفة وراسلوه، وقالوا: أنتَ مولانا، ومالكُ أمورِنا، وما لنا سِواكَ، وقد كُنَّا عند وفاة مُشَرِّف الدولة اخترنا جلالَ الدولة؛ ظنًّا منَّا أنه ينظرُ في حالنا، فلم ينظُرْ، فاخترنا أبا كاليجار؛ ظنًّا منَّا أنه يُحقِّق ما يَعِدُنا به، فكُنَّا منه على أقبح من الأول، فخرج جوابُ الخليفة: إنكم موالينا، وأبناءُ دولتنا، وأولُ ما نأمركم به أن تكون كلمتُكم واحدةً، وكنَّا قد قرَّرْنا الأمرَ لجلال الدولة، وطلبتُم نقْضَه، وساعدناكم عليه، وفيه قُبِّح علينا وعليكم، ثم عقدتُم لأبي كاليجار عقداً لا يَحْسُنُ نسخُه من غير رَوِيَّة، ولبني بُوَيه في أعناقنا ذِمَمٌ وعهودٌ لا يجوز الرجوعُ عنها، والمصلحةُ أن نكاتبَ أبا كاليجار في ذلك ونستعلِمَ

(١) تحرف في (ف) إلى: ابن أبي الشوراب.

(٢) تاريخ دمشق ٥٧/ ٩١ ـ ٩٢.